مَجلّةُ جَامِعَةِ بَابِل لِلعُلُومِ الإنسَانِيّةِ Journal of the University of Babylon for Humanities

المجلد 30/ العدد 3/ 2022 Vol. 30/ No. 3/ 2022

الأبعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الأفريقية

شاكر عبدالنبي الجابري

تربية ذي قار/ محافظة ذي قار/ العراق

shakraljbry8@gmail.com

منذر فاضل الدليمي

كلية المستقبل الجامعة،51001/العراق/ الحلة/ بابل

drmfhd@mustagbal-college.edu.ig

تاريخ استلام البحث: 14 /12/ 2021 تاريخ قبول النشر: 10 /1/ 2022 تاريخ نشر البحث: 13 / 3/ 2022

المستخلص:

يعنى هذا البحث بدراسة (الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية) وتضمن أربعة فصول، تناول الفصل الاول مشكلة البحث، واهميته والحاجة اليه وهدفه المتمثل (بالتعَرف على الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية.) وحدود البحث (الحدود الموضوعية: يتحدد الطوطمية في الفنون الافريقية) اما الحدود الزمانية فمن (1875الى1940م).

وتعريف المصطلحات الواردة فيه. والفصل الثاني تضمن مبحثين، عُني الأول بدراسة نشأة الفكر الطوطمي في الفن الافريقي مفاهيمياً وجماليا، والمبحث الثاني تناول المقدس والانسان في الشعوب الأفريقية البدائية. وانتهى الفصل الثاني بالمؤشرات التي استنتجها الباحثان. اما الفصل الثالث فتضمن اجراءات البحث المتمثلة بمجتمع البحث التي بلغت (3) أنموذجاً فنياً ومهج البحث، وانتهى الفصل الثالث فعني بتحليل عينة البحث.. فيما اختص الفصل الرابع بنتائج البحث واستنتاجاته ومن اهم النتائج (الطوطمية كمفهوم وسلوك انساني يشكل رد فعل طبيعي للضغوط والمؤثرات البيئية التي يعيش فيها سكان المجتمعات الافريقية، ومن ثم ترسخت في ذهنه واصبح فاعلية معرفية ثم تحويلها الى لغة فنية جمالية (1،3،2)، أتخذ الفنان الافريقي من نتاجاته وسيلة جمالية يعبر بها عن عدم ثبات الأيدولوجيات الواقع والقم المعاش ليتحول لقيم وعادات الاسلاف لينال منهم البركة وطرد الأرواح الشريرة كما في العينة(1، 2، 3)اما اهم الاستنتاجات (تخطى الشكل الطوطمي المستتر في الأقنعة بأبعاده المفاهيمية والجمالية مساحة التعبير الفردي في الحالات الذاتية، ليمتد ويتسع فأضحى أسلوباً في التعبير المفاهيمي والجمالي للشكل الطوطمي لدى الفنان الافريقي المؤمن بالقوى الغيبية وتعبيره عنها). ثم انتهى لبحث بالتوصيات والمقترحات.

الكلمات الدالة: الابعاد، المفاهيمية، الجمالية، الأشكال الطوطمية

Journal of the University of Babylon for Humanities مَجلّةُ جَامِعَةِ بَابِل لِلعُلُومِ الإنسَانِيّةِ

Vol. 30/ No. 3/ 2022 المجلد 30/ العدد 3/ 2022

Conceptual and Aesthetic Dimensions of Totem Forms in the African Arts

Shaker Abdul-Nabi Al-Jabri
Dhi Qar Education/ Dhi Qar Governorate - Iraq

Munther Fadhel Hasan
AL-Mustagbal University College/ 51001 Hillah/ Babil/ Irag

Abstract

This research means studying (the conceptual and aesthetic dimensions of totem forms in African arts) and included four chapters, the first chapter dealt with the problem of research, the importance of research and its need for it and its goal of (identifying the conceptual and aesthetic dimensions of totem forms in African arts.) and its research limits (objective boundaries: totem is determined in African arts) and the temporal boundaries of (1875 to 1940 AD).

Chapter 2 included two researches, the first of which included the study of the genesis of Totemic thought in African art conceptually and aesthetically, and the second article dealt with the sacred and man in primitive African peoples. The second chapter ended with the indicators concluded by the researchers. The third chapter includes the research procedures of the research community, which amounted to (3) As an artistic model and research curriculum، chapter three ended with the analysis of the research sample. While chapter 4 specialized in the results of the research and its conclusions and one of the most important results (to temism as a concept and human behavior constitutes a natural reaction to the pressures and environmental influences in which the population of African societies live, and then took root in his mind and became cognitive effectiveness and then turned into a beautiful artistic language (1, 2,3), the African artist took from his productions an aesthetic means of expressing the instability of real ideologies and living values to transform the values and habits of the ancestors to gain blessing and exorcism as in the sample. (1, 2, 3) The most important conclusions (the hidden totem form in the masks, with its conceptual and aesthetic dimensions، exceeded the space of individual expression in subjective situations، extending and expanding, and became a method of conceptual and aesthetic expression of the Totem form of the African artist who believes in and expresses occult forces.) and then ended up discussing the recommendations and proposals.

Key words: Dimensions، conceptual، aesthetic، totem shapes

1- الفصل الأول/ الاطار المنهجي

1-1 مشكلة البحث: يعد الفن وسيلة التعبير لبنية العلاقات بين الانسان وواقعه، فهو لا يعكس صورة واقعه فحسب، بل يتمثل حركته وبما ان الواقع متغير ومتحول دوما وتبعا لتطور الانسان عبر الحضارات فان صورته للفن متغيرة ومتطورة ايضاً[1،ص43]. وعن طريق التطور الحاصل في حياة الانسان وتعاظم نموه الفكري ومدركاته الحسية أصبح الفن جزءاً لا يتجزأ من حياته بشكل عام، والفن كان وما زال أفضل وسيلة للتعبير عن شتى المشاعر الإنسانية إذ لازم حياة الإنسان منذ النشأة الأولى، متخذاً أطواراً مختلفة، كان في بدايته ذا طابع سحري، أسطوري أو ديني، تحول فيما بعد ليتخذ طابعاً توظيفياً، غرضياً جمالياً، ومتراوحاً في مساره الطويل بين أن يكون رمزياً أو تجريدياً أو واقعياً.

ان الابعاد الفكرية للشكل الطوطمي عبر التاريخ تكشف أن لكل حضارة وحقبة زمنية كان لها مرتكزات فكرية وعقائدية كانت تحرك طرائقهم في معالجة الظواهر بتعبيرات فنية سواء كانت نحتاً أم رسماً او اعمالا جدارية، وفي ضوء ما تقدم ولأجل حصر البحث الى اقصاه يمكن مناقشة الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفن الافريقي على انها مفاهيم تحمل تداخلات فلسفية واجتماعية ونفسيه متعددة مع انها صناعة جمالية لها امتدادات مختلفة عبر تعاقب الحضارات، إذ ان غياب مثل هذه المواضيع الخاصة بالمفهوم الفكري او الجمالي والعوامل المؤثرة فيه وكيفية القراءة الفكرية للموروث الحضاري عامة، لذا تعد هذه اشكالية حقيقية في عالم الفن او معارفه وهي تعد مشكلة تستحق البحث. لذا تمحورت مشكلة البحث الحالي بالإجابة على التساؤل الآتي: ما الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية؟

1-2 أهمية البحث والحاجة أليه:

1. يسلط الضوء على مفهوم فلسفي/ نفسي/ديني شائك (هو الشكل الطوطمي) له دوره الفاعل في الديانات البدائية لدى الشعوب وبالظواهر الكونية والاجتماعية كافة، الامر الذي يسهم بالإحاطة علمياً بنمط سلوكي أنساني غاية في الأهمية اذ كان له أثرٌ واضحٌ في فنون الحضارات وبالفنون الافريقية خاصة .
2. تسليط الضوء على مفهوم الطوطم ورصد اشتغالاته في الفنون الافريقية تماشياً وفلسفة المجتمع والعصر الذي أنتجت فيه وعلى نحو يبرز أهمية الشكل الطوطمي كدافع ومحرك لأبداع الفنون في حضارة ما.

1-3 هدف البحث: يهدف البحث الحالي الى: التعَرف على الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية.

1-4 حدود البحث: يتحدد البحث الحالي بالآتي:

1.الحدود الموضوعية: يتحدد البحث الحالي بدراسة الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية

2.الحدود الزمانية: (1875- 1940).

3.الحدود المكانية: نتاجات الفنون الافريقية المحفوظة في المتاحف أو ضمن المقتنيات الخاصة للفنانين أو المنشورة على شبكة الانترنت.

1-5 تحديد المصطلحات:

البعد(The dimension)

البعد (لغويا): خلاف القرب، وهو عند القدماء اقصر امتداد بين شيئين، وقد جعل المتكلمون البعد امتداداً موهوماً مفروضاً في الجسم، او في نفسه، صالحا لان يشغله الجسم[2، ص137].

الإبعاد: مصدرها(بعد) اتساع المدى والمسافة[3، ص205].

الأبعاد: (جمع) مفردها (بعد). وهي الرأي والحزم[4، ص69-70].

- البعد في الهندسة: هو المقدار الحقيقي الذي يحدد نفسه، او بغيره، مقدار او شكل قابل للقياس (كالخط او السطح او الحجم) مثال ذلك: أبعاد الجسم[2، ص213].
- ويعرف الباحثان (البعد) إجرائيا بما يتلاءم وموضوع البحث:

هو الاثر الذي يتشكل في ثقافة الفنان الافريقي فيسقطه على السطح التصويري من خلال المعالجات الاسلوبية والتقنية باستخدام العناصر الفنية والقواعد التكوينية للعمل الفني كأداة مؤثرة في وصف ظاهرة ما تحمل دلالات متعددة وبأسلوب رمزي وبمدلولات ذات ابعاد معبرة عن الفن والمقدس وفي سياق البعد الفكري والجمالي للشكل الطوطمي.

الشكل (Contradiction)

أ- لغةً: يعرّف الشَكل بالفتح الشّبْه والمِثْل، والجمع أشكالٌ وشكْول[5، ص356]. كما ورد تعريف الشكل ش ك ل – (الشَّكْل) بالفتح المِثْل والجَمْع (أَشكال) و(شكُول) يقال هذا أشْكَلُ بكذا أي أشْبَهُ. وقوله تعالى:(قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ على شاكلَتِه) أي على جديلَتِه وطريقته وَجهته. و(الشَّكال) العَقِال والجَمْع (شُكُلٌ). وفي الحديث "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كره الشِكّال في الخَيل " وهو أن تكون ثلاث قوائم مُحَجَّلة وواحدة مُطلَقة أو ثلاث قوائم مُطْلَقة ورجْلٌ مُحَجّلة، ولا يكون الشِكال إلاّ في الرّجل، والفرَسُ (مَشْكول) وهو مكروه. و(أشْكَلَ) الأمْرُ التبس. و(شَكَلَ) الطائر والفرس بالشّكال من باب نَصَر وكذا شكل الكتاب إذا قيده بالأعراب. ويقال أيضاً (أشكَلَ) الكتاب كأنه أزال به إشْكالَه والتباسه. و(المشاكلة) الموافقة و(التّشاكُل)أي مثله[6، ص344].

ب- اصطلاحاً: ويعرف الشكل بأنه التركيبة المادية، أو البناء الشكلي الذي يحدد المعنى الداخلي داخل إطاره أو سياجه[7، ص46]. كما يعرف بأنه: (التركيب الذي يؤلف الأجزاء للكل من تعددية العناصر، ولهذا فأنه يمنح تلك العناصر قالبها المميز). [8، ص4]. أما (العايد) فيرى أن الشكل هو: (هيئة الشيء وصورته)[9، ص 699].

.ويشير (ستولنتيز) إلى انه: (تنظيم عناصر الوسيط المادي التي يتضمنها العمل، وتحقيق الارتباط المتبادل بينها وعناصر الوسيط هي الأنغام، والخطوط)[10 ، ص340].

ويعرف الباحث الشكل إجرائيا: هو ما يتكون نتيجة تنظيم العناصر الفنية التشكيلية وهو الذي يعكس المضمون الحامل للشكل وابعاده الجمالية.

الطوطمية بالإنجليزية (Totemism): هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرةً طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. وكلمة طوطم مشتقة من لغة الأبجوا الأمريكية الاصلية.

– ويعرف الطوطم أيضاً بأنه:"علامة تدل على العشيرة، تكون على شكل رسومات وزخارف ترسم على أماكن مختلفة حسب طبيعة كل عشيرة مثل خوذة الرأس او الخيمة وعلى قلاعهم وأجسامهم وعلى دروعهم"[11، ص64].

- يطلق اسم الطوطم (Totem) عند الاقوام الامريكية والاسترالية القديمة على حيوان او نبات يعتقدون انهم منحدرون منه. والطوطمية هي نظام اجتماعي مبني على عقيدة الطوطم، وتطلق أيضا على نظرية (دور كهايم) و(فرويد) القائلة ان الطوطمية هي الصورة الأولى للحياة الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية، لما تشتمل عليه من

تحريم بعض الأشياء واباحة بعضها الآخر[2،ص29] تعرف الطوطمية بأنها "تنظيم اجتماعي، ونسق من المعتقدات والتطبيقات السحرية والدينية، يدور حول الربط، ربطاً روحياً، بين جماعة قرابية، كالعشيرة والقبيلة، وبين فصائل من أشياء، هي في الأغلب من الحيوان، او النبات، تدعى (طوطم)، لأنه يُعد سلفها المقدس". [12، ص 394- 395].

الطوطم اجرائياً: (هو شكل ذو ابعاد يمثل مظهراً طبيعياً او حيوانياً يعتقد به جماعة بالارتباط به روحياً باشكل ورموز ذات طابع ديني تدل على العشيرة أو القبيلة، بابعاد ومفاهيم فكريه ذات طابع ديني مقدس لحضارة ما ممثلة لعالم الوجود محاكية لواقع الجماعات والافراد منها طبيعية أو كونية أم بشرية يستلهمها فنان الحضارة الافريقية المتعاقبة لعوالم خيالية يستلهمها من أرض الواقع لأجل تمثيلها كالشكال طوطمية تحوي دلالات شكلية ورموز متفق عليا بين افراد المجتمعات البدائية وتعد الحامي او الراعي للقبيلة).

2- الفصل الثاني/ الإطار النظري

2-1 المبحث الأول/ نشأة الفكر الطوطمي في الفن الافريقي(مفاهيميًا وجماليًا)

تميز الانسان البدائي بطغيان افكاره الذاتية على حساب ذلك المعطى المرئي والمحسوس في العالم الخارجي إذ ان الانسان البدائي الميثولوجي تهيمن على نسق تفكيره تصورات ذاتية يقوم بتمثيلها الى الواقع اي صبغ الواقع والظواهر بها ومن هنا يجد فرويد بأن الخوف الغير المبرر من شيء على مستوى الشعور الواعي بمعنى انه يمثل الخشية من الاشياء التي نرغب بها بقوة في داخل اللاوعي او اعماق تفكيرنا فلتابو او الشيء المحرم يتمثل بالخوف اللامنطقي من الفعل الغير متوقع شعورياً ولولا الخوف وحالة الاشتهاء لهذه المحرمات لما جاءت بتلك الصور التي تتمثلها النصوص والرموز الدينية.. "الطوطمية هي تقديس حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية كالماء والمطر باعتباره الأصل الذي انحدرت منه القبيلة. فالطوطم هو الأب والروح الحامية للعشيرة، والرمز المقدس لها، لذلك يمنع على العشيرة قتل طوطمها أو أكله إلا في بعض المناسبات وذلك لاكتساب صفاته وخصائصه، والطوطم لا يمثله حيوان معين، وكلمة طوطم مأخوذة عن «الأوجيبوا»، وهى لغة «الغونكية» التي يتكلم بها هنود البحيرات الكبرى في أمريكا الشمالية، ويستخدم «الأوجيبوا» لفظ طوطم للدلالة على علاقة اجتماعية قائمة بين شخصين، كان الرحالة «ج لونغ» أول من أدخل لفظ طوطم إلى الغرب عام 1791م في كتابه «رحلات مترجم هندي وأسفاره»، لكن استخدامها الأنثروبولوجي يرجع إلى «ج . مالكلينان» عام 1970م عند كتابته مقالا بعنوان الطوطمية. وتنتشر الطوطمية في ماليزيا وغينيا وجنوب أفريقيا وبين سكان استراليا الأصليين" [13].

ففي افريقيا كانت قبائل (الديولا) متخذة من المطر طوطماً لها، وهو رمز للخير والسعادة والنماء لأن القوى الخفية للمطر تسعدهم في حين تتخذ قبائل (البنارة والدوغون) طوطماً حيوانياً باعتبار حسب اعتقادهم الحيوان توأم الانسان، وان كل جد من اجدادهم يقابله حيوان. اما مناطق (الدموم) الافريقية وهي من مناطق افريقيا التي تقع خلف الصحراء نجدهم يعبدون صنماً على شكل جسد امراة يجعلونه طوطماً لهم، فيشدون

الرحال لها في المناسبات الدينية، وبعض افراد القبيلة يتبرك بشجيرة (القطن) ويزرع كل واحد منهم شجيرة قطن في داره ليكسب البركة.

وعبدت الشعوب الافريقية مصادر الطبيعة ذات الوفرة القائمة على اساس نظام الامومة، وكذلك عبدوا الحيوانات المتوحشة المفترسة امثال الافعى والفهد اللذين عدوهما المستوى العالي من القدسية والهيبة لخوفهم منهما وقد سميت قبائلهم بتسميات حيوانات طوطمية، كما انهم عبدوا الاسلاف والارواح والزعماء الذين امتهنوا عمل الكهانة والسحر، كذلك بعض القبائل الافريقية البدائية تتخذ من مظاهر الطبيعة وعناصرها طواطم. فنجدهم قد عبدوا نهر ((النيجر)) وقدموا له الاضاحي والقرابين تقرباً له وطلب العون [14، ص93].

يأخذ الفن الافريقي عدة اشكال ويستخدم خامات مختلفة مثل الحلي التي تستعمل للتعبير عن الانتماء القبلي وتميز قبيلة عن اخرى ويتميز الفنان الافريقي باختلاف المواد في المكونات ويتخذ من العمل الفني (طاقة سحرية للتعبير عن القوة او بديل رمزي للأسلاف والالهة وهناك في الفن الافريقي تحضر الاقنعة وتتخذ اشكال بشرية او حيوانية او اسطورية والاقنعة ليست مجرد منحوتات بل لها اهداف واستخدام مثل التخفي او تغيير الشكل ويرتديها الرجال في الطقوس والشعائر لتجسيد الارواح ولهذا تنوعت اشكالها ونظامها الصوري والاستعمال المتفوق للون والتأثير في المتلقي) [15،ص71]. وكذلك استعمال رموز الحيوانات مثل الاسد والنمور والطيور الجارحة كالنسر والعقاب والصقور للدلالة على قوتها وهي من اثار الفكر الطوطمي في الديانات القديمة حيث ان الانسان في رحلته الاولى احتاج للقوة ف(عمل على قطع الحجر المصقول للسكاكين والسهام الحجرية بديلاً عن مخالب وانياب الحيوانات، ان احتكاك الاحجار لصنع الادوات ولد شعلة النار ومن اجل المحافظة عليها قام بإيقادها بشكل دائم واحاطها بالأساطير والقوى الحارسة لها كما في الشكل(رقم1) وبهذا فان صنع الادوات من اجل الصيد تم تسخيرها مستقبلاً لزراعة الارض وحصد المحاصيل والاستيطان في المكان ليبتكر ذلك الانسان البدائي الادوات الموسيقية من القصب وجذوع الاشجار وابتكر الدولاب وتم ترويض حجر الصوان ليصنع منه ادواته التي يتحكم بها بالطبيعة ويترجم من خلالها افكاره ويصنع محراثه وادوات للحرب مع الاعداء والحيوانات الضارية) [16].

وتعد الطوطمية واحدة من التصورات الثقافية ذات المردود الديني والاجتماعي والتي سادت لدى العديد من القبائل الافريقية وارتبطت في طياتها (بممارسات عدة سحرية وروحانية وطقسية وكان للطوطم حقوق وواجبات على المنتمين اليه واطار يجمع كل طوطم بعشيرته او قبيلته ولقد ارتبطت الطوطمية الافريقية بالوشم ويحمل العديد العلامات الجسدية كالخدش والوسوم كما في (الشكل رقم2)

شكل(رقم1)

شكل (رقم 2)

وهي ممارسات تقوم بها بعض القبائل لتتحول اجسادهم بتلك العلامات الى تشبيه الطوطم الذي ينتمون اليه وذلك اما بعمل رسمة على الجسد أو بعمل رموز لها ايحاء طوطمي يجمع افراد العشيرة الواحدة معاً)[17ص240].

وبهذا فان الاشكال بتنوع سطوحها في الفن الافريقي مرجعتيها الاعتماد على (مفهوم السحر والفكر الطوطمي والرمزية وتتمثل العقائد السائدة والاساطير والقصص كونها احد المصادر التي يستلهم منها الفنان الاشكال والمفردات ويتم توزيع العناصر في مجموعات تضم الاشكال الادمية والحيوانية والهندسية وهناك عناصر مثل الطيور ذات الرؤوس المتعددة) [15، ص77].

وتقدم الاعمال الفنية الافريقية حالة من التنوع في السطوح بين النعومة الشديدة لتصل بدرجات لمعان عالية من اسطح شديدة اللمعان توحي بالصحة بينما الاسطح الخشنة والاسطح غير اللامعة توحي بعيوب جسدية،(إنّ جلّ هذه الطقوس والاحتفالات تُصاحبها ممارسات العديد من الفنون أبرزها فن الوشم والخدش والفصد والهدف منها هو إرضاء القوى الروحية الغيبية) [18]. كما في الشكل(رقم3)

شكل(رقم3)

وتقدم الأعمال الافريقية الاشكال بمفردات رمزية وبتأثير روحي حيث (يحاول صانع الاعمال أن يتقمص أرواح الاسلاف وبذلك نجد اللون في الفنون الافريقية متنوع ومتعدد تبعاً لاختلاف الالوان التي تعبر عن كل قبيلة كونها تتمتع برموز ونظام اشكال وعلامات تدل عليها وبهذا استخدم الفنان الافريقي نظام الشكل كرمز للتعبير عن

مفاهيم روحية تعتبر الضامن والمنظم للحياة في مجتمع القبيلة وتتمثل الاشكال الزخرفية كالنقط والدوائر والخطوط باختلافها سواء اكانت منحنية او حلزونية او الخطوط الرأسية والأفقية المائلة في تكوينات على شكل مثلثات او مربعات او مستطيلات وتمكن الفنان تمثيل اشكال بدائية للإنسان والحيوان لأغراض وطقوس جنائزية او رموز تختلف باختلاف كل جماعة من الجماعات الافريقية) وتحضر في الفن الافريقي الاعمال الخزفية التي تقدم في (الاحتفالات الدينية وتكون ميزتها انها اكثر دقة وانتظام وتحمل نقوش بشرية وحيوانية) [15. ص79-72].

2-2 المبحث الثاني/ التحليل النفسي والكشف عن الطوطم

إن نظرية التحليل النفسي تهدف الى فهم طبيعة الانسان البدائي والمحيط به من الاشياء والظواهر بدلالة القاء شيء من هاتين الطبيعتين لندرك أهمية الفن في الامم والحضارات الإنسانية، والانسان البدائي عبر تمثيله شكل الطوطم هو إشباع الرغبات بعيدة عن الواقع بل تنتجها المخيلة،(فالإنسان البدائي بعد قتله للاب والتهامه عمد الى تخيل استرجاعي لصورته التي انطبعت في ذاكرته مما ولد له الشعور بالندم مهما عمد الى تمثيلها بصورة منتظمة ومبالغ بها لتقديمها وجعلها بشكل مقدس)[19،ص18]، اساس نظرية التحليل النفسي الدافع الجنسي، وان الطوطم يكنى به عن الوالد، وقد تحولت عاطفة الحسد باتجاهه، ويدعم فرويد نظريته هذه بـــ(آراء "داروين" عن حياة الانسان الاول، في بادئ امره عاش في مجموعات بسيطة، يترأس كل واحدة منها ذكر قوي حسود يستقل وحده بالإناث ويمنع الذكور من اولاده من التمتع بهن حتى اذا اشتدت سواعدهم وضاقوا به ذرعا قاموا ينازعونه ويتنازعون فيما بينهم وتكون الغلبة لأقوى أحد منهم، فيستقل دونهم بالنساء ويطرد خصومه من الحظيرة)[20،ص125]، أذ أن الطوطمية كما فسرها فرويد اعتمدت على نظرية فلسفية تخيلية تتمثل في ان التطور التاريخي الذي قطعته البشرية يرجع لقبيلة بدائية يحكمها زعيم قوي ومتسلط (يخضع له جميع الابناء ويحتكر النساء ويعاقب من ينازعه تلك الرغبات والملكية لكن الابناء اجتمعوا على الانتقام من الاب بقتله ثم التهامه، وبفعل حدث الالتهام اتحدوا مع الاب ويعطي فرويد الرأي بان اجتماع الاخوة يمثل الرغبة ان يصبحوا أقرب شبهاً للاب لهذا كان السعي لإشباع هذه الرغبة بالتهام الاب ذاته وخضع الافراد بعد فعل القتل الى الشعور بالإثم والندم مما دفعهم الى تخليد صورة الاب على شكل طوطم واعلنوا تحريم قتله بوصفه تمثيلا للاب، وهكذا كان الربط الاسطوري بين الحيوان الطوطمي والاب او الجد، ومثلت فكرة الامتناع عن قتل (الطوطم) كونه الجد الحقيقي للعشيرة وتتميز علاقة الانسان البدائي بالطوطم بنسق تفاعلي كونه حامي الانسان والعشيرة، والانسان يعبر عن تقديسه بصورة مختلفة مثل (الامتناع عن اكله الا ضمن طقس احتفالي خاص كما يحظر الزواج بين اعضاء الجماعة الطوطمية ويعاقب من يفعل ذلك بالموت بالنسبة للرجال والعض والطعن بالرماح حتى الموت بالنسبة للنساء)[16، ص247].

وبهذا فان شكل الطوطم هو التداخل بين اللعب والتخيل والحلم اما الانسان البدائي ويتخيل ويحلم احلام يقظة او نوم يشكل عالماً خاصاً به.

ان عملية قتل الاب عند فرويد لها رمزية وقد ساعدت فيما بعد على تشكيل مجموعة من التابو التي تمثلت بها السلالات البشرية وقامت بترسيخ نظامها وقواعدها للوصول الى الحضارة الحديثة بقانونها الاجتماعي إذ ان عملية قتل الطوطم افرزت في اللاشعور عند الانسان البدائي الشعور بتأنيب الضمير (إذ ان التخلص من

طوطمهم وقيامهم بحظر كل ما كان ينهى عنه في حضوره المادي الجسدي مما ولد حالة عدم تمتع الابناء بثمار جريمة القتل مما ولد تأنيب الضمير عند الانسان مع هذا فان الرغبة الوحشية بسفاح القربى والزواج من نساء الطوطم عملت الى نشوء مؤسسات الزواج من خارج قبيلة الطوطم والرغبة بالتمثيل بالموتى وجثثهم) [21] وما تمثل عنها من مخاوف وقلق لدى الانسان البدائي من ان الروح تطارد القاتل والعابث بالجثث ادت الى ابتكار طقوس احترام الموتى واقامة حفل او طقس جنائزي لهم خوفاً من الارواح التي قد تبقى تطارد الاشخاص الاحياء.

يتناول فرويد الدراسات الانثروبولوجية للشعوب الاسترالية القديمة التي تركت إرثاً اسهم بالكشف عن المعتقد الديني او نظام السلوك المجتمعي وطريقة العيش اذ تمثل الطوطمية نظام تقسيم عشائري ويكون لكل عشيرة طوطم خاص بها وهو عبارة عن حيوان او ظاهرة ما ويكون حامياً وحارساً لها تختاره القبيلة بوصفه سلفاً لها ويحظر اكل الطوطم وتؤدى له طقوس سنوية ويحرم في هذا النظام الزواج من ذات الطوطم التي ينتمي لها احد الازواج وتتم معاقبة المخالفين بالموت ويعمل النظام الطوطمي بالتوريث ما يورث عن الاب يعرف بالطوطم الابوي وما يورث عن الام يعرف بالطوطم الامومي والاغلب السائد هو نظام الطوطم الابوي.

استعمل الانسان البدائي او الانسان الاول في الوجود ما يشاهده في الطبيعة من حيوانات قوية لها صفاتها وبغية التعويض على ضعفه الجسدي مقارنة مع باقي حيوانات الارض لذلك اطلق تشبيهات او القاب على ابطاله واسلافه وقادته مثل الاسد او الثور والنسور واستمر هذا التصور الى اليوم اذ نجد في اعلام الدول ورموزها وعلاماتها.

<table>
<tr>
<td> </td>
<td> 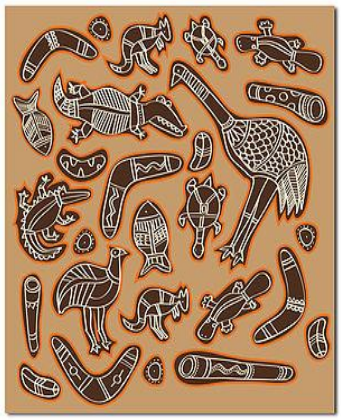 </td>
</tr>
<tr>
<td></td>
<td></td>
</tr>
</table>

يحدد دوركهايم ان الدين يألف تمثلات دينية واجتماعية تعبر عن وقائع جماعية وان الطقوس تتجه نحو تحفيز بعض الحالات العقلية للجماعات، وان فكرة الالهة او الكائنات الروحية واقامة الروابط والعلاقات الانسانية معها تتحدد بالطبيعة المسندة لها، انها كائنات واعية لا يمكن التأثير بها الا من خلال عمليات واعية تتمثل في الادعية والطقوس واقامة الصلوات وان كل المعتقدات الدينية البسيطة والمركبة تحمل خاصية واحدة مشتركة انها تقتضي تقسيم العالم الى مجالين واحد يتضمن في سياقه كل ما هو مقدس واخر يتضمن كل ما هو مدنس ولذلك يختلف دوركهايم مع فريزر وفرويد بان اصل المشاعر الدينية في الظواهر السيكولوجية كالأحلام والخوارق

الطبيعية كالعواصف والزلازل ويرفض دوركاهيم التفسير النفسي للدين كونها تعد الدين مجرد وهم دون اي اساس واقعي.

ان الاعتقاد في الروح يتمثل رمزي للعلاقة بين الفرد والمجتمع فالروح هو ذلك الجزء من المجتمع الموجود داخل الفرد انها السلطة الاخلاقية والنظام الاجتماعي الموجود داخل المجتمع والذي يتصف بانه المرجع الكامن خلف الروح، وان فكرة القداسة للاشياء والرموز هذا التحول فرضته قوة او سلطة معممة ومنتشرة، من المعتقدات التي تكمن خلف تقديس الطوطم أساطير(يرجع بعضها إلى إن أفراد من الطوطم النباتي أو الحيواني قد تحولت إلى أناس وانحدرت منهم العشيرة، والبعض الأخر يرى عكس ذلك أي أن أفراد الطوطم هم الذين كانوا في الأصل أناس ثم تحول بعضهم إلى حيوان أو نبات و بقى بعضهم محتفظاً بصورته الإنسانية، وهذا التحول حدث بصورة تلقائية مثل دودة القز التي تتحول إلى فراشة)[22،ص7].

هناك مفهوم أساسي تقوم عليه المعتقدات الدينية للبدائيين وهو (مفهوم (المانا Mana) والكلمة من مفردات اللغات المحلية في ميلانيزيا وتشير الى قوة غفلة تسري في الطبيعة كما تسري الحياة في اعضاء البدن، وهي للعالم بمثابة الروح التي تتخلل مظاهره، من دون ان تكون حالة في كائنات ما ورائية مشخصة ،وقد كان للباحثين Hubert" و" Mauss" فضل التنبيه الى ان السحر أنما يقوم على فكرة المانا، ان الممارسات السحرية تعتمد على ان تتبادل الاشياء التأثير ببعضها عبر وسط متصل يجمعهما الى بعضهما فيما يشبه كون حي متصل)[23،ص62].

وان ظاهرة (المانا) الماليزية ترمز الى مصدر كل (قوة روحية وتؤدي دور الرابط الاجتماعي وان التطابق بين الدين والمجتمع حاصل في الديانة الطوطمية حسب رؤية دوركهايم كما في مجتمع الابوريجين الاسترالية وتتميز هذه الجماعة كونها تعد نفسها موحدة برابطة القرابة القائمة على اسم شيء مادي (الطوطم ولهذا صور الطوطم منقوشة فوق اجسادهم والاشياء التي يصنعونها – رمز المبدأ الحيوي المانا)[24] ، (المانا "mana" هي مصطلح من ثقافة ميلانيزيا (قسم من جزر المحيط الهادي) جرى تبنيه من قبل الانثروبولوجيين المحدثين للدلالة على قوة سحرية فوق طبيعانية، قائمة بذاتها، وتسري في مظاهر الكون والطبيعة وذلك بمعزل عن ايه صله لها شخصيات بعينه او ارواح وهو ما اعتقد واسع الانتشار رغم عدم عالميته هذا المصطلح الميلانيزي ليس الوحيد المتداول بين القبائل البدائية، اذ لدينا ما يعادله لدى بعض قبائل الهنود الحمر وبعض قبائل شمال افريقيا وقبائل البانتو في جنوب افريقيا السكان الاصليين في مناطق متعدده من العالم وبشكل خاص قوه خفيه يعتقد بانها تعمل بذاتها، وتعمل بوضوح من خلال الاشخاص او الكائنات الحيه والمتحركه ويعتقد بانها قابله للانتقال من الاشياء الى الانسان وبالنسبة "للميلانيزين")[25،ص32].

رؤية دوركهايم ان المجتمع هو مصدر الدين وشكلت دراسته للطوطمية فيوسط الاورنتا في استراليا ان الطوطمية نسق ديني تعتبر فيها بعض الاشياء (خاصة الحيوانات والنباتات مقدسة وترمز للعشيرة واعتبر التنظيم الطوطمي الشكل الاكثر بدائية للدين بفعل بدائية التنظيم الاجتماعي ذاته وسواء كان للعشرة طوطم واحد او نادرا عدة طواطم فانها ليست سلسلة منفصلة من المعتقدات او غير مترابطة وانما هي نسق مترابط من الافكار تعطي للعشيرة تمثيل وتصور كامل عن العالم)[26]. هنالك أشكال من الطوطمية تم التعرف عليها في (الأمريكيتين

وأفريقيا، بشكل ضعيف في الهند وفي البحار الجنوبية، في هذه المناطق تتنوع الملامح المميزة للطوطمية، وإلى حد كبير أحياناً ففي أميركا الشمالية تعمد القبائل الهندية الى تقسيم نفسها الى مجموعات تميز كل واحدة نفسها عن الأخرى بأن تطلق على نفسها أسماً لحيوان أو أو شيء من عناصر الطبيعة، وفي غالب الأحيان فإن العلاقة بين أفراد العشيرة وطوطمهم شكل صلة صوتية، في حالات أخرى تهدف الطقوس الطوطمية الى تهدئة خواطر العشيرة الطوطمية)[25، ص42].

وان الطوطمية تمثل القوة المجهولة غير الشخصية وهي من مصادر (الضمير الجمعي الذي يأتي من المجتمع ذاته بكون الدين ينشأ من الانفعال الجمعي انه وسط هذه البيئات الاجتماعية المنفعلة ومن هذا الانفعال نفسه يولد الدين وخلال مراحل الانفعال الجمعي يخلق افراد العشيرة الطوطمية وبهذا ان الطوطمية حسب رؤية دوركهايم هي التمثيل الرمزي للضمير الجمعي الذي هو افراز المجتمع مصدر الضمير الجمعي والطوطمية)[26]، وعليه فان دوركهايم يصف الدين بانه نسق موحد من المعتقدات والممارسات تجاه الاشياء المقدسة اي الاشياء التي تعتبر محرمة في مجتمع يحدد القوانين والنظام وكون الطوطمية وضعية ثقافية مشروطة بمجتمع بدائي مشاعي يؤسس علاقة اصل تقوم على صلة القربى الحميمية والوثيقة او شيء او ظاهرة طبيعية، كون (أن جميع المقولات المنطقية والمفاهيم العقلية والفكر هي نتاج المجتمع ونتاج العقل الجمعي، وإن المجتمع الشامل هو الذي يهيمن في معرفة الإنسان وثقافته وإبداعه وابتكاره، ومن الصعب فصل التمثل البصري عن الضمير المجتمعي الجمعي؛ مفاهيم ومتخيلات مجتمعية جمعية، ألفتها الجماعة عبر ممارستها الطقوسية والدينية والاجتماعية)[27،ص37]

ان زواج المحارم يمثل حالة من الخوف والفزع تسيطر على ذهن الانسان البدائي، كل العشيرة تتخذ طوطما معينا من محارم ذكورها فـــ(لفظ اب يستخدمه البدائي الاسترالي لمناداة كل رجل في القبيلة وذات الفعل مع لفظ الام والاخوة ويؤكد فرويد ان هذا الجزء من النظام الطوطمي انعكس على التنظيمات المجتمعية المعاصرة فالطفل ينادي اصدقاء الاب بكلمة عم واصدقاء الام بكلمة الخالة وذلك فان النظام الطوطمي اسهم في تأسيس التابلو(*) خصوصاً بالزواج العشائري ونجد ابسط تمثيل له عند الكنيسة الكاثوليكية التي امتد حظر المحارم بين الاخوة ليصل حتى القرابة وزيجات ابناء العم تم حظرها، ويطرح فرويد مثال جزر ميدنيز ياكو، هذه القبائل البدائية تفرض على الابن مغادرة منزل الام فور وصوله الى سن البلوغ ويذهب لدار مشتركة يعيش فيها لحين الزواج ولا يقترب من منزل الام الا لطلب الطعام ويقدم اليه عبر حجاب. ويحظر على الانسان البدائي المؤمن بالنظام الطوطمي ان يلتقي اخته في البيت بعد سن البلوغ ويحظر العلاقة بين الصهر والحماة ولا يجوز للرجل ان يطأ شاطئ البحر بعد مرور حماته من عليه إلا بعد ان يمحو اثر قدميها.، (أطلق الأنثروبولوجي "أرنولد فان جنيب" تسمية طقوس العبور" Rite of passage "عند الأقوام البدائية لأنها تعبر بالشخص من مرحلة إلى أخرى جديدة تماماً، أنها مرتبطة تماماً بأحداث مثل الولادة، وإطلاق الاسم والتلقين بالخطوبة والزواج والموت، يفصل الطقس اولئك الأشخاص عن أوضاعهم السابقة، ثم يسهل تحولهم الى الحالة الجديدة، ثم يعيد بعد ذلك توحيدهم مع الجماعة في دورهم الجديد، تعتبر طقوس التلقين أو الطقوس الادخالية من الطقوس النموذجية لطقوس العبور،

وهذا ما نلاحظه لدى سكان أستراليا الاصليين وخصوصا فيما يتعلق بعبور الصغار من مرحلة الطفولة إلى مرحلة البلوغ حيث يصبحون أشخاصا فاعلين في الحياة الاجتماعية) [25، ص24].

2-3 مؤشرات الإطار النظري:-

1. يستعمل الطوطم للتعبير عن الانتماء القبلي وتميز قبيلة عن اخرى ويتميز الفنان الافريقي باختلاف المواد في المكونات ويتخذ من العمل الفني (طاقة سحرية للتعبير عن القوة او بديل رمزي للأسلاف والالهة.
2. يجد فرويد أن الخوف غير المبرر من شيء على مستوى الشعور الواعي بمعنى انه يمثل الخشية من الاشياء التي نرغب بها بقوة في داخل اللاوعي او اعماق تفكيرنا، التابو او الشيء المحرم يتمثل بالخوف اللامنطقي من الفعل الغير متوقع شعورياً ولولا الخوف وحالة الاشتهاء لهذه المحرمات لما جاءت بتلك الصور التي تتمثلها النصوص والرموز الدينية. وبهذا فان سفاح القربى لدى البدائيين هو الذي ادى بالنتيجة الى نشوء المؤسسة الطوطمية.
3. الطوطم مرتبط بوجود بنية متجذرة في اللاوعي تتجلى بشكل رمزي على سطح العمل الطوطم كشكل عبر الرموز او العلامات او الاشكال هي رغبات ووقائع داخل النفس.
4. يتميز الفن الافريقي باستعمال رموز الحيوانات مثل الاسد والنمور والطيور الجارحة كالنسر والعقاب والصقور للدلالة على قوتها وهي من اثار الفكر الطوطمي في الديانات القديمة.
5. تعتبر الطوطمية واحدة من المظاهر الثقافية الدينية والاجتماعية التي سادت لدى العديد من القبائل الافريقية التي تحتوي في طياتها طقوس سحرية وروحانية.
6. لجأ الفنان الافريقي الى نظام الشكل للتعبير عن مفاهيم روحية تعتبر منظمة لحياة مجتمع كالأشكال الزخرفية والدوائر والخطوط باختلافها سواء اكانت حلزونية او منحنية والخطوط الرأسية والأفقية المائلة في تكوينات واشكال مربعات، ومثلثات، ومستطيلات.
7. تمثل الطوطمية القوة المجهولة وتعتبر الضمير الجمعي الذي يأتي من المجتمع ذاته لان الدين ينشأ من الانفعال الجمعي ومن خلال الانفعال الجمعي يخلق افراد العشيرة الطوطمية وفق رؤيا مجتمعية يفرزها المجتمع نفسه حسب نظرية دوركهايم.

3- الفصل الثالث/ إجراءات البحث

3-1 مجتمع البحث: نظراً لسعة وتعدد نتاجات الفن الطوطمي الافريقي تعذر على الباحثين احصاؤها بشكل تام ونهائي، فقد تم الاعتماد على ما متوافر من مصورات أخذت من المصادر ذات العلاقة، فضلاً عن المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت وقد بلغ عد مجتمع البحث(32)عملا فنيا.

3-2 عينة البحث: تم اختيار عينة البحث البالغ عددها ثلاثة اعمال فنية اختيرت بالطريقة القصدية، وبما يحقق هدف البحث الحالي المتمثل بـــ(تعرّف على الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية). وتم الاختيار وفقاً للمسوغات الآتية:

1.وذلك اعتمادا على القراءاة والنصوص التي تركزة فيها المفاهيم المقدسة وضمن انظمتها الشكلية مما يرمي الى التعرف على الابعاد والمفاهيم الجمالية في الاشكال الطوطمية الافريقية.

2.استنادا الى أراء الخبراء والمختصين في الفنون التشكيلية[1*]، وقد تم الاتفاق عليها بعد ان عرضت عليهم.

3.مراعاة التنوع بالمادة والاسلوب فضلا عن التقنيات التي استخدمت في انتاج تلك الاعمال.

4.مراعاة التسلسل التأريخي في انتاجها.

3-3 منهج البحث: أعتمد الباحثان المنهج الوصفي وبأسلوب تحليل المحتوى الكيفي منهجاً لبحثهما وذلك لأنه من أكثر المناهج العلمية ملاءمة للبحث الحالي ويحقق هدفه المتمثل التعَرف على الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفنون الافريقية.

3-4 تحليل العينة:

أنموذج رقم(1)

أسم الفنان: مجهول

عنوان العمل: قناع طوطم

تاريخ الانتاج: القرن التاسع عشر الميلادي

الخامة أو المادة: مواد مختلفة.

الابعاد: 80× 60سم

يشكل هذا العمل تكوينا لشكل طوطمي مكون من مواد مختلفة سطح من الواح الخشب وقناع برونزي ورداء مزين بوبر، وعموم التكوين يشكل نطاقين، النطاق الاول متمثل بالقناع حيث تظهر هيئة القناع الطوطمي واضحة فتحتين واسعتين لا تبوح بما سياتي بعد حين، ولكنها تختلف في حركتها عند بعض نقاط النظر هي عباره عن ظلام دامس على جانبيهما جدائل متعرجة منسدلة من قلنسوة برونزية اتى عليها الزمن ونال من لونها البرونزي فظهرة علياه عوامل التأكسد، وفي اسفل القناع ما تلى الانف كتلة لونها بني داكن حلة محل الشارب

1.أ.عامر خليل ناصر، فنون تشكيلية-نحت، كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل.

2.أ.د.محمود عجمي الكلابي، فنون تشكيلية-نحت، كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل.

3. أ.م.د.كامل عبد الحسين الشيخ ، فنون تشكيلية-رسم ،كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل.

4.د.علي شاكر نعمة، فنون تشكيلية-رسم ،كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل.

5.د.علي عطية، فنون تشكيلية-رسم ،كلية الفنون الجميلة/جامعة بابل.

كناية للرجل الذي يتخايل بشاربه وفي جانبي القناع الطوطمي رمز لسهمين للدلالة على التهيؤ لأي طارئ كعدو من انسان او حيوان. استند القناع على خلفية عباره عن رداء مزين بحزم الوبر بشكل كثيف كناية عن شعر الأسد ليخيف به اعدائه فقد استخدم هذه المفردة الرمزية لأنه الأسد سيد الغابة الأوحد بل هو سيد الحيوانات لشجاعته وشدة باسه لذا فالأنسان البدائي على كافة مراحل حضارات العالم عامة وانسان الحضارات الافريقية خاصة فقد اتخذ من الأسد والنمر مثالا للقوة والبأس الشديد كذلك اعتزازه بنفسه كل هذه المرموزان يستخدمها الانسان البدائي حين يشكل النطاق الثاني هيئة رجل افريقي على شكل الواح من الخشب معقوفة الأطراف في حالة تأهب وهو يتحدى برقصته وطأة الطبيعة القاسية في افريقيا.

الشكل العام هنا يؤكد اقتناص الفنان لمشهد عملية تمثيل الرقصة الطقوسية ذات المشهد الطوطمي من النظر الى هيئة الشكل اعلى القناع ومن التمعن اليه تجده عبارة عن صياد او محارب يرقص بحفل الانتصار او يتأهب لما هو مجهول وكثيرا ما تشاهد في الثقافة الافريقية مثل هكذا احتفالات مليئة بالرقصات الي تشتهر بها القبائل البدائية في افريقيا وفي الهنود الحمر في امريكا الجنوبية وامريكا الوسطى في قبائل المايا وقبائل الازتك التي تختلط عاداتها وتقاليدها بالأساطير وعبادة الأرواح حالها حال الشعوب البدائية لذا تأثرت الفنون الأفريقية البدائية بالأساطير والحكايات والخرافات المرتبطة بثقافات الشعوب الإفريقية، التي تستمد مقوماتها من علاقة الإنسان البدائي بالطبيعة والحيوانات والقوى الغيبية، وإبراز مظاهر السحر وصراع الإنسان مع الأرواح الشريرة، إضافة للعادات والتقاليد، وتمجيد الشخصيات القيادية في القبيلة. يأخذ الفن الافريقي عدة اشكال ويستخدم خامات مختلفة مثل الحلي التي تستعمل للتعبير عن الانتماء القبلي وتميز قبيلة عن اخرى ويتميز الفنان الافريقي باختلاف المواد في المكونات ويتخذ من العمل الفني طاقة سحرية للتعبير عن القوة او بديل رمزي للأسلاف والالهة

ان الطابع العام للفنون الإفريقية التقليدية، أهمها يرتبط بالطقوس المقدسة ذات الصلة بالمعتقد الديني الذي يعد دستور الحياة في إفريقيا، وهو الملهم الأول للإبداع والتعبير عن هوية الشعوب الإفريقية. ومن خلال تتبع مضمون العمل الفني الذي يحمل معاني ورموزًا طوطمية، ان العمل ما هو الا انعكاس لواقع الفن الافريقي الذي يعد له جذور وبدايات دينية في الأصل من أجل أن تؤمن للإنسان بعضًا من الأمان للاستمرار في حياته، ليس في الفن الطوطمي فقط بل القصص والحكايات المأخوذة من الديانات والعقائد. وتكون الفنون الفطرية حاضرة عند الحديث عن الفن الافريقي ولكن البداية الدينية لم تتجمد، فقد تطورت حتى أصبحت الفنون تؤدي دورا جماليا يقوم على المتعة والفائدة.

تأثرت الفنون الأفريقية البدائية بالأساطير والحكايات والخرافات المرتبطة بثقافات الشعوب، التي تستمد مقوماتها من علاقة الإنسان البدائي بالطبيعة والحيوانات والقوى الغيبية، وإبراز مظاهر السحر وصراع الإنسان مع الأرواح الشريرة، إضافة للعادات والتقاليد، وتمجيد الشخصيات القيادية في القبيلة.

تعددت مضامين الفنون الإفريقية التقليدية، أهمها ما يرتبط بالمناسبات المقدسة ذات الصلة بالمعتقد الديني الذي بمثابة دستور الحياة في إفريقيا، وهو الملهم الأول للإبداع والتعبير عن خصوصيات الشعوب الإفريقية. اذ ان بدايات الفنون الإفريقية دينية، تتحدث عن القصص والحكايات المأخوذة من الديانات والعقائد القديمة. تشكل

الفنون الإفريقية البدائية بطابعها الإيقاعي بُعدا أنثروبولوجيا لا يمكن تجاهله، يرتبط بمحتوى ومظاهر الفنون الفطرية المتأصلة في قرارة الإنسان الإفريقي.

ومن خلال اندماج مفردات الخطوط المشيرة إلى شكل الرجل الافريقي الصياد مع شكل القناع الطوطمي مع فروة الاسد، تتشكل وحدة إنشائية كاملة تشير بالنتيجة الى موضوعة البيئة والحياة الافريقية، ويكون حينها الشكل فيه دلالة مهمة من دلالات الحياة السحرية والارواحية المقدسة، ذلك أن وجود هكذا رموز طوطمية تشكل موضوعة حيث يمكن استنطاق اشكالها من خلال مرجعياتها الارواحية والسحرية والطوطمية ذات المعتقدات والعادات المقدسة.

أنموذج رقم(2)
أسم الفنان: مجهول
عنوان العمل: قناع طقوس الجنائز
تاريخ الانتاج: أوائل القرن العشرين
الخامة أو المادة: فن بدائي من الخشب ومواد مختلفة.
الابعاد: 80×70

يكون نموذج العمل الطوطمي المرفق بين الفن النحتي المكون من عدة مواد مركبة والذي يجمع بين الطقوس الروحانية ورمزية الشكل السحري وقد وظف النحات راس حيوان يبدو مقارب لراس حصان وقد كلل راسه كومة من القش للدلالة على كثافة شعره المنسدل خلف اذنيه، وقد على قمة راسه فارس على هيئة قرد ممسكا باذني الحصان وكانه يرمز دلاليا نحو الانطلاق للأمام، فهذه الاشكال التي يستخدمها بعض قبائل افريقيا تعبر من الأقنعة المستخدمة في المناسبات وخاصة في التشيع الجنائزي والختان يرافقه بعض الرقصات الدينية المختلفة ذات الدلالة الرمزية. الشكل العام يمثل قناع على شكل حيوان طوطمي مقدس يعتليه حيوان اخر على هيئة قرد وكل الاشكال هي عمل فني عمد النحات فيه على اظهار حالة الرمزية المفرطة التي تعبر عن طقوس وعادات القبائل الافريقية، لم يكن اختيار هذه الحيوانات اعتباطيا فكل قبيلة من القبائل الافريقية –كما أشار الباحث في الإطار النظري– تقدس نوعا من أنواع الحيوانات ويبدو أن هذا الحيوان أحتل هذه المكانة المقدسة ففي الطقوس الدينية الافريقية يرتدى الناس جلود حيوانات الطوطم، يسمى القبائل والأشخاص أنفسهم باسم حيوان الطوطم، ويستخدمون صور الحيوانات كرايات لهم، ويقوم الرجال بوشم صور الحيوانات الطوطمية على اجسادهم، وإذا كان الطوطم من الحيوانات تبعث في النفوس الخوف فإن أفراد القبيلة يعتقدون إنه سوف يحميهم،

وحسب اعتقادهم يقوم حيوان الطوطم بحماية قبيلته من المخاطر ويرشدهم إلى المستقبل، وتعد الطوطمية واحدة من التصورات الثقافية ذات المردود الديني والاجتماعي والتي سادت لدى العديد من القبائل الافريقية وارتبطت في طياتها بممارسات عدة سحرية وروحانية وطقسية بدائية كما تمثل تلك الممارسات ارث حضاريا من الاساطير والأديان القديمة وهي تلتصق بوجدان الشعب. فيلجأ البدائي الى السحر والطوطم وتشكيلها بوصفها فضاء يحوي حياة الاسلاف ويسهم بتغيير العالم والاشياء ويقوم بحماية الجماعة من المخاطر انما يبين ما يعتري الانسان من خوف، كون إن الجمال البدائي ارتبط في المرحلة الحسية بدوافع عملية وظيفية بالأساس وبمقاصد طقوسية أو دينية وتوظيفاً ثيولوجياً دينياً في مرحلة أخرى.

وبخصوص هذا قدم فرويد في تصوراته عن الطوطم وهو تمثيل الشعور بالخوف من عودة الروح للانتقام ليتصور ان اصوات الحيوانات في محيطه البيئي انما هي روح الاب التي حلت بذلك الحيوان، مما يجعل الابن يصبح زعيماً للقبيلة العائلة ويقوم بتقديس ذلك الطوطم وتقديم القرابين له وتبدأ العائلة بعبادة الطوطم وتختار كل قبيلة طوطمها من الحيوانات. وان الشعوب البدائية تتجاهل سبب المحظورات الذي يعترضها النظام الطوطمي وتؤمن بها ايماناً راسخاً كون عواقب تجاوزها تتحقق بفعل حالة الاستجابة الوهمية للطوطم. ومثلت فكرة الامتناع عن قتله (الطوطم) كونه الجد الحقيقي للعشيرة وتتميز علاقة الانسان البدائي بالطوطم بنسق تفاعلي كونه حامي الانسان والعشيرة. لذا يتصور الانسان البدائي هناك عالم وهمي ينتظره بالعقاب ما لم يرضي الطوطم ويسترضيه وبهذا عمد الانسان المؤمن بطاقة الطوطم وتأثيره عليه بتنظيم الطقوس والاحتفالات واظهار الهيبة والوقار وعدم التجاوز على حرمة وقدسية الطوطم. وفي الحقيقة يعد السحر بمثابة الحجر الاساس في عقيدة القبائل الافريقية المؤمنة بفكرة الطوطم اذ يشكل الساحر شخصية استثنائية في القبيلة بما يمتلكه من قوى اعلى من القوى الطبيعة والارواح والامراض والاعداء .

أنموذج رقم(3)
أسم الفنان: مجهول
عنوان العمل: النمر والافعى
تاريخ الانتاج: أوائل القرن العشرين
الخامة أو المادة: من الخشب والقش ومواد مختلفة
الابعاد: مجهول.

يتكون العمل الفني من نحت تركيبي من مواد مختلفة خشب ملون مطعم باحجار صخرية وقش يظهر من بين القش هيئة حيوان اسطوري وفي اعلى الشكل حيوان آخر على هيئة نمر متأهب للوثوب مكشر عن انيابه يوحي منظره بلحظة افتراس مسدد نظره على الضحية المفترضة طغى على الشكل الألوان الزرقاء

وتشكيلات هندسية مثلثات ومربعات بيضاء ورمادية وقد اسند كامل العمل على قاعدة عمودية وقد حصر الفنان جهده في تمثيل بنية الشكل الطوطمي المتمثل بقناع يتداوله افراد القبائل الافريقية، وركز اهتمامه في بنيته التشكيلية بالإشارة اليها بصيغ تعبيرية ورمزية تركزت في بعض الإجزاء من المنحوتة للشكل الأسطوري والنمر الأعلى، استطاع النحات ان يمنح عمله حركة فيها اندفاع وتأهب للهجوم ليدخل في نفس الخصم الرعب والخوف. ان المعالجة التشكيلية لشكل النمر هنا جاءت وفق صياغة دمج النحات فيها بين ماهو واقعي ورمزي للشكل، وكذلك الاهتمام بتفاصيله التشريحية، وتعبير الحركة في تركيز الرأس نحو الامام ذي الصياغة الواقعية في التشكيل. وتتمثل الروحانية الطوطمية في الايمان بوجود ارواح غير مرئية وان الاشباح والارواح الخيرة هي التي تساعد الانسان البدائي على الصيد والحماية من المخاطر والمرض وانها تقف بمواجهة الارواح الشريرة، فتظهر في طقوس التلقين والصيد وتضميد الجراح والاحتفالات الجنائزية ولذلك كانت (عمليات الخدش والوشم فعل روحي يعتمد خروج الدم من الجسم كون الدم رمز للروح عند الانسان البدائي وطاقة حيوية يكتسبها الفرد لحظة شرب دماء الاضاحي التي يتم تقديمها للطوطم اثناء الطقس الاحتفالي.

يلجأ البدائي الى السحر والطوطم وتشكيلها بوصفها فضاء يحوي حياة الاسلاف ويسهم بتغيير العالم والاشياء ويقوم بحماية الجماعة من المخاطر انما يبين ما يعتري الانسان من خوف، كون إن الجمال البدائي ارتبط في المرحلة الحسية بدوافع عملية وظيفية بالأساس و بمقاصد طقوسية أو دينية وتوظيفاً ثيولوجياً (دينياً) في مرحلة أخرى. لذا فان ان التحليل النفسي ينظر الى الشكل الطوطمي كونه كاشف اكثر من الانسان ذاته وهو يفضح الاسرار والهواجس والرغبات ليكون الشكل الطوطمي حالة من ردم الهوة بين عالمين متناقضين هما عالم الغيبي والواقع. يعد السحر بمثابة الحجر الاساس في عقيدة القبائل الافريقية المؤمنة بفكرة الطوطم اذ يشكل الساحر شخصية استثنائية في القبيلة بما يمتلكه من قوى اعلى من القوى الطبيعة والارواح والامراض والاعداء.

4- الفصل الرابع

4-1 النتائج:

1. الطوطمية كمفهوم وسلوك انساني يشكل رد فعل طبيعي للضغوط والمؤثرات البيئية التي يعيش فيها سكان المجتمعات الافريقية، ومن ثم ترسخت في ذهنه واصبح فاعلية معرفية ثم تحويلها الى لغة فنية جمالية يتداولونها جيل بعد جيل كعادات وتقاليد مقدسة عند معظم الشعوب والمجتمعات الافريقية، كما في العينة(1،2، 3).
2. أعطى الفنان الشعبي الافريقي تعبيراً عن معطيات الثقافة الشعبية من خلال استلهام الفنان الافريقي العديد من الرموز والاشكال ذات البعد الطوطمي التي ترجع بالآصل لتقاليد وعادات مقدسة ذات رؤية فنية قائمة على التفرد في إنتاج تكوينات سحريه وطقوس ذات اثر روحاني متمثلة باستحداث مختلف من الأقنعة متعدد لمناسبات اجتماعية كما في العينة (1، 2).

3. أظهرت نتائج التحليل عن امتلاك الفنان الافريقي البدائي لأبعاد فلسفية شتى نظراً لاعتماد الفنان على ميثا لوجيا شعبية توارثها الإباء عن الأجداد وطروحاتهم الفلسفة المتوارثة رسخت في الاذهان لممارسة طقوسهم من خلال الأقنعة الواقعية وغي الواقعية كما في جميع العينات (1، 2، 3).
4. أعطى الفنان الافريقي اهتماما بالغاً باستخدام المواد التقنية والأدائية من خلال تعدد الخامات (مخلفات النباتات – القماش– الجلد– النحاس – الذهب– الخشب–الألوان– ومواد اخرى...) ومن ثم تجميعها لتكوين الشكل الطوطمي على مثال قناع حيواني له طقوس معينه منها استحضار أرواح الاسلاف ترافقه بعض الرقصات كما في العينة(1، 2).
5. بدت الابعاد النفسية متمثلة بمقارباتها المتعددة فاعلة من خلال اقتناص الفنان لمشهد تعبيرات وجوه الأقنعة والرموز المرافقة للأشكال والمناسبات التي صنعت من اجلها ترافقها الرقصة الطقوسية ذات المشهد الطوطمي المعبئة بالحركات الروحانية والسحرية لمشاعر الانسانية المشبعة بالمعاناة في الوقت ذاته يعبر عن رفضه وقلقه حول تناقضات الواقع كما في العينة (1).
6. اتخذ الفنان الافريقي من نتاجاته وسيلة جمالية يعبر بها عن عدم ثبات الأيدولوجيات الواقع والقم المعاش ليتحول لقيم وعادات الاسلاف لينال منهم البركة وطرد الأرواح الشريرة كما في جميع العيانات(1، 2، 3).
7. في الفنون الافريقية البدائية العادات والتقاليد تختلط بالأساطير وعبادة الأرواح حالها حال الشعوب البدائية الأخرى في جميع مجتمعات الحضارات لذا تأثرت الفنون الأفريقية البدائية بالأساطير والحكايات والخرافات المرتبطة بثقافات الشعوب الإفريقية، التي تستمد مقوماتها من علاقة الإنسان البدائي بالطبيعة والحيوانات والقوى الغيبية كما في العينة (2، 3).

4-2 الاستنتاجات:

1. للأشكال الطوطمية وارتباطاتها المفاهيمية والجمالية فاعلة الاشتغال في الفن البدائي الافريقي، وهو ما يؤشر قابليته على خرق المعايير والمعطى الجمالي المتعارف عليه واليات القراءة والتلقي اتخاذه مساراً تعبيراً مستمدا من جوهر الحياة الانسانية ليجعلها مادة موضوعية مما ساعد على امتلاكه لأبعاد المفاهيمية والجمالية (معرفية، فلسفية، نفسية،...الخ).
2. تنوعت الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الخطاب الجمالي للفن الافريقي وفقاً لتوجه الفنان وهويته الفنية، فضلاً عن طبيعة الارسالية النسقية القصدية للخطاب الديني المقدس اذ ان الطابع العام للفنون الإفريقية التقليدية، أهمها ما يرتبط بالطقوس المقدسة ذات الصلة بالمعتقد الديني الذي يعتبر دستور الحياة في إفريقيا وانعكاسه معرفياً واجتماعيا.
3. تخطى الشكل الطوطمي المستتر في الأقنعة بأبعاده المفاهيمية والجمالية مساحة التعبير الفردي في الحالات الذاتية، ليمتد ويتسع فأضحى أسلوباً في التعبير المفاهيمي والجمالي لدى الفنان الافريقي المؤمن بالقوى الغيبية وتعبيره عنها.

4-3 التوصيات:

في ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج واستنتاجات واستكمالاً للفائدة والمعرفة يوصي الباحثان بما يأتي:

1. استثمار مفهوم الشكل الطوطمي وتضمين المناهج هذه الممارسات من التفكير لدراستها والاطلاع عليها.
2. ضرورة إطلاع دارسي الفن ونقاده التشكيليين لما آلت إليه الدراسة، ليتسنى معرفة مفهوم وجماليات الاشكال الطوطمية في الفن عامة.
3. ضرورة نشر بحوث ومقالات فنية ترتبط بالشكل الطوطمي وآليات اشتغاله فنيا، مع اعمال مصورة لأبرز الفنانين التي كانت أعمالهم محاكية وبارزة في هذا المضمار.

4-4 المقترحات: يقترح الباحثان إجراء الدراسات الاتية:

1. الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية في الفن الشعبي العراقي.

الابعاد المفاهيمية والجمالية للأشكال الطوطمية الافريقية وانعكاساتها في فنون الحداثة

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

المصادر

1. صاحب زهير: مملكة القصب،مطبعة دار الجواهري، بغداد، 2014.
2. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة . 1977.
3. جبران، مسعود: رائد الطلاب، دار العلم للملايين. بيروت، ب ط، ب ت.
4. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، المجلد الحادي عشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
5. البستاني، فؤاد افرام: منجد الطلاب، دار المشرق، ط 31، بيروت، ب ت.
6. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح، دار الكتاب العربي بيروت للطباعة والنشر، 1978.
7. عيد، كمال: جماليات الفنون، الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1980.
8. Etienne، Qilson : form and Substances in the Art ، U.S.A. 1966.p.4.
9. العايد، احمد وآخرون: المعجم العربي الأساسي، توزيع لاروس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988.
10. –ستولنتيز، جيروم:النقد الفني؛ دراسة جمالية وفلسفية، ت: فؤاد زكريا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974.
11. Powell ، Wyandot Government ، In first Rep ، of the Bun of Ethnbl ، 1881 ، p 64.
12. مير، اوسي: مقدمة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: شاكر مصطفى، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، سلسلة الكتب المترجمة (126)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
13. علا عبداللطيف: الطوطمية في الفن الافريقي/https://gate.ahram.org.eg/daily/News/533867.aspx.

14. الرفيعي، هندباد علي مجيد: رسالة ماجستير في التربية التشكيلية غير منشوره، كلية الفنون الجميلة، جامعة بابل،2012.
15. اميرة فؤاد انور ونيفين فاروق حسين، العلاقة التبادلية بين تصميم الاقمشة الطباعية والتكسية المعدنية للحوائط في القرى السياحية ، مجلة العمارة والفنون، العدد14، مصر.
16. www.ultrasawt.com.
17. زينب عبد التواب رياض خميس، الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بأفريقيا، مجلة العلوم الاجتماعية الانسانية، جامعة محمد بو ضياف بالمسيلة، الجزائر، عدد 14، مجلد 7، 2018.
18. حسين عباسي، "الوشم لدى قبائل افريقيا الوسطى: الذات والموضوع"، المصدر: *مجلة الثقافة الشعبية*. العدد https://www.aranthropos.com/%D8%A7%D913.
19. الزرق نور الهدى، قشي مريم، الفن التشكيلي ونظرية التواصل مدرسة فرانكفورت نموذجاً، كلية الاداب واللغات، قسم الفنون جامعة ابو بكر، بلقايد تلمسان، الجزائر:2017.
20. يوسف شلحت، نحو نظريه جديده في علم الاجتماع الديني، دار الفارابي بيروت لبنان 2003.
21. هايل شرف الدين، ملاحظات حول الطوطم والتابو، www.elaph.com.
22. منى محمد أنور عبد الله، الرمز في الفن الشعبي التشكيلي بمصر واستخدام رموز الحب والكراهية في تصميم المنسوجات، بحث مقدم في المؤتمر الدولي الثالث عشر لكلية الآداب والفنون "ثقافة الحب والكراهية"، أكتوبر 2008، الاردن.
23. السواح، فراس، دين الانسان، دار علاء الدين، دمشق، سورية:2002.
24. حسن حجيج، قراءة نقدية في كتب الاشكال الاولية للحياة الدينية، موقع حكمة.
25. السواح، فراس، موسوعة تاريخ الاديان الشعوب البدائية والعصر الحجري، دار التكوين، ط4، دمشق، سوريا، 2017.
26. لطفي الادريسي، اميل دوركهايم الدين المقدس والمدنس والطوطمية منشور في الحوار المتمدن،1011.
27. جميل حمداوي، الثقافة: مفاهيم ومقاربات(نحو رؤية سوسيو- أنتروبولوجية)، دار الالوكة الطبعة: الأولى لمغرب، 20.